



صار من المعلن رسمياً، منذ أيام، وجود خط عسكري ساخن بين سوريا وإسرائيل. هذا الخط يديره الروس، من الناحية المبدئية، من أجل تنسيق الأعمال القتالية، بعد أن تولت موسكو، منذ مطلع أكتوبر/تشرين الأول الحالي، إدارة الحرب للدفاع عن النظام السوري. ويتذرع الروس بضرورة تنظيم الطلائع العسكرية في الأجواء، لكيلا تحدث أخطاء تقود إلى احتكاكات بين الأطراف، لكن الأمر في الحالة الإسرائيلية يتجاوز ذلك بكثير، وإلا لماذا كان رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، أول من استمع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، إلى وجهة نظره، حين دعاه إلى موسكو الشهر الماضي. وعلى الرغم من أن الروس يثيرون عاصفة كبيرة حول مسألة التنسيق العملياتي في سوريا، فإن الطرف الوحيد الذي يولون رأيه أهمية خاصة هو إسرائيل.

يتصرف الروس مع الأطراف الإقليمية والدولية المعنية بسوريا بمعايير مختلفة، وهذا ما دللت عليه اللقاءات التي أجروها، في الآونة الأخيرة، مع مسؤولين عرب وأجانب. وليس المعايير جميعها متناسبة بالضرورة، فبعضها متضارب، لكنهم، في جميع الأحوال، يحاولون توليف وضع جديد، يمكنهم من إدارة الملف السوري، بما يناسب مصالحهم بالدرجة الأولى، فهم، على سبيل المثال، وضعوا الملف السوري في نصاب مكافحة الإرهاب في المباحثات مع مسؤولي الإمارات والأردن. أما مع السعودية، فلم يمانعوا في الحديث عن العملية الانتقالية، ودور الرئيس بشار الأسد في تقرير مستقبل سوريا.

يبدي الروس، حتى الآن، اهتماماً خاصاً بالموقف الإسرائيلي، حتى إن خبراء ومحالين إسرائيليين عديدين يرون تحولاً استراتيجياً يحصل في الشرق الأوسط: الولايات المتحدة انسحبت من المنطقة، وروسيا تحل محلها. ولذا، من غير المستبعد أن تتحالف إسرائيل وروسيا، وهذا سبب التفاهم الذي جرى بين الطرفين، فيما يتعلق بالتنسيق العسكري الجوي في السماء السورية، وهو تنسيق سيقود حكماً إلى تفاهمات سياسية تتعلق بمستقبل سوريا.

وبينع هذا التقدير من رؤية روسيا دورها في هذا البلد، فهي جاءت لتملأ الفراغ الذي تركه انهيار النظام، وفشل المدافعين عنه مباشرة، أي إيران.

ويدرك الروس أنه ليس في وسعهم لعب هذا الدور من دون التفاهم مع إسرائيل على كل خطواتهم العسكرية والسياسية. ولذا، بات مصير الأسد، في المنظور الروسي، يتقرر بين شخصين، بوتين ونتنياهو. وبات من الثابت، بعد أسبوعين من التدخل الروسي في سوريا، أن بقاء الأسد من عدمه ليس شاغل روسيا التي تتصرف من وحي مصالحها وحساباتها، كدولة عظمى، ثم هي على قناعة بأن إسرائيل وحدها قادرة على لخبطه حساباتها في سوريا.

وغمي عن القول أن التعاطي الروسي مع الملف السوري سيعتمد، في المقام الأول، على "هروجة" محاربة الإرهاب، وهذا ما سيسهل تحالف الروس مع الأطراف التي تبني نظرة اعتبار الأطراف الإسلامية في سوريا إرهابية. وإلى جانب نتنياهو، سيجد الروس إلى طرفهم في المقام الأول الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي.

وإذاء تداخل الأدوار وتشابك المصالح، يجدر رصد الوضع الإيراني، فطهران سلمت بالتدخل الروسي في سوريا، لكنها لم تستسلم في صورة تامة، وهي تقاتل حتى الآن في الميدان، لأنها تريد تثبيت حصتها من التركة السورية، وقد تبين، أخيراً، أن هذه الحصة ترتكز على تأمين مساحة سورية لصيقة ببنان، من أجل استمرار نفوذها، وحماية حليفها حزب الله.

وهناك قناعة لدى طهران أن وزنها في المعادلة يتبع لها ذلك، لكنها بحاجة إلى طرف يرسم حدود التفاهم بينها وبين إسرائيل. ولذلك، عملت بحنكة لاستدراج الدب الروسي إلى الكرم السوري، على أمل الحصول على حصتها من العنب، مات الناطور ألم بقى حياً.

العربي الجديد

المصادر: